الأب متى المسكين

حقائق وذكريات

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٢٢

www.coptology.org

كان أول لقاء مع الأب متى المسكين في مدرج الكلية الإكليريكية. جاء وتحدَّث مع الطلبة والمدرسين عن التربية الكنسية في أبريل ١٩٥٨ وكان كلامًا جديدًا غير مألوف، لم نسمع مثله من قبل. رغم محبتي وعلاقتي القوية مع أبي الروحي القمص مينا المتوحد إلَّا أنني لم أسمع شيئًا عن الأب متى المسكين إلى أن ذهبت إلى كنيسة مار مينا وذكرت له المحاضرة.

فقال:

"ده ابني الروحي وأنا اللي رهبنته". ثم صدر كتاب "العنصرة" وكنت طالبًا بالقسم النهاري العالي وكان حُجة التعليم هو د. وهيب عطاالله الذي أعلن في أكثر من مناسبة أن أقنوم الروح القدس لا يسكن فينا، وأننا ننال مواهب الروح القدس فقط، وكان دليل أستاذنا وهيب عطاالله أن العهد الجديد القبطي عندما يذكر سكنى الروح القدس في الإنسان لا يستخدم أداة التعريف "ال" بل أداة التنكير[١]. وعندما راجعت هذه النقطة مع القمص مينا المتوحد، انزعج وقال: "دي فلسفة، واللاهوت لا يُوخذ من اللغة والإعراب، طيب مين اللي بيحل على الخبز والخمر، الروح القدس ولا مواهب الروح القدس؟".

كانت قاعدة التعليم التي لازال أعيش بها هي مراجعة كل ما يُقال على صلوات الكنيسة، وهي كما قال القمص مينا المتوحد "التعليم الذي أخذه من شيوخ دير البراموس"، ثم أشار إلى صلوات الساعة الثالثة في الأجبية، لا سيما المقطع:

---

(١) راجع دراستنا المفصلة عن هذا الموضوع في كتابنا: أقنومية الروح القدس بين الإنكار وفساد الاستدلال، جذور للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٤.

"إيها الملك السمائي روح الحق .... ".

واحتدم الجدال ولكنني –حسب وصية أبي الروحي– لزمت الصمت ولم أشترك فيه. لكن كانت هناك حملة إعلامية يقودها بعض رهبان دير السريان بقيادة الراهب أنطونيوس السرياني الذي تعرَّفتُ عليه أثناء إقامتي بدير السريان، وكان يسنده في هذه الحملة الراهب شنودة السرياني (الأنبا يؤنس أسقف الغربية السابق) ولكنني لم أنضم إلى أي فريق.

في سنه ١٩٦٠ سلَّم القس مرقس داود أول ترجمة عربية لرسائل القديس أثناسيوس عن الروح القدس للأستاذ جرجس صبحي (المحامي الآن) وكان أمين الخدمة الذي أخذ مكان الأنبا مينا الذي صار تلميذًا لقداسة البابا كيرلس السادس. وجاءت رسائل أثناسيوس تؤكد أنه حسب الأصل اليوناني فإن معظم نصوص العهد الجديد الخاصة بسُكنى الروح القدس تبدأ بأداة التعريف "ال"، وكانت حُجة القديس أثناسيوس كما هو ظاهر أن اللاهوت والعقيدة لا تُبنى على حُجج لفظية.

سافرت للدراسة في جامعة كامبريدج في ١٩٦٥ بإذن سفر من الرئيس جمال عبد الناصر، وكان الذي حمل أوراق البعثة قداسة البابا كيرلس السادس في زيارته الخاصة لمنزل جمال عبد الناصر عقب أحداث هدم كنيسة "البوصيلية" في أسوان. وكان قرار سفري يحمل توقيع الأنبا شنودة ود. وهيب عطاالله وبركة خاصة من قداسة البابا كيرلس السادس.

جامعة كامبريدج من أقدم جامعات بريطانيا، وقسم اللاهوت فيها هو أقدم الأقسام، فقد تعدى عمره ١٠٠٠ سنة، حيث يحتوي على مكتبة رائعة فيها كل

مؤلفات الآباء وكل كتب الكنائس الأرثوذكسية وغيرها، وتخصصات حتى في اللغة القبطية.

درست العبرانية دراسة مكثفة بعد دراستي لها مع د. مراد كامل، ثم اليونانية بعد دراستي لها مع د. بورمستر، ثم اللاتينية. وكان الاكتشاف المذهل هو في عجالة سريعة:

١- أننا عرفنا مقدمات عن الآباء، ولم ندرس حتي كتاب تجسد الكلمة، ودرسنا بعض مقاطع من الرد على الآريوسيين ترجمة د. وهيب عطالله.

٢- لم ندرس مادة هامة اسمها تاريخ العقيدة المسيحية History of Christian Doctrine والغريب أن الأنبا شنودة هو الذي وجَّه نظري إلى هذا النوع بالذات من الدراسات ... وهنا وجه العجب، كيف أصبحت هذه المادة هي الفجوة التي فصلت بيننا.

٣- درست الآباء، لا سيما آباء الإسكندرية.

٤- تاريخ الديانة اليهودية.

٥- تاريخ الإلحاد في أوربا ومدارس الفلسفة.

٦- محاضرات مكثفة عن الكتاب المقدس.

عُدت إلى مصر ١٩٧٠ لأجد أن الجدل الذي تركته ١٩٦٥ لازال كما هو جامدًا:

إمَّا مع الأب متى المسكين

أو

ضد الأب متى المسكين

تنيح البابا كيرلس السادس، وبدأت الصراعات على كرسي مار مرقس، حاولت بكل جهد أن تدخل جبهة واحدة؛ الأنبا صموئيل – الأنبا شنودة – القمص متى المسكين... وذهبت إلى بيت التكريس في حلوان وتقابلت مع الأب متي المسكين لمدة ٧ ساعات حول ما حدث ... وكان محور الحديث حقيقة الخلاف اللاهوتي مع د. وهيب عطاالله – الأنبا شنودة. حصر الأب متى المسكين هذا الخلاف في النقاط التالية:

١- أننا لم ندرس الآباء، وأننا نتكلم من فراغ وقدَّم تشبيهًا وهو موتور يسحب الماء من بئر فارغ.

٢- أن هناك انقطاعٌ دام أكثر من ١٤٠٠ سنة وأكثر بين تراث الإسكندرية وما كُتب ونُشر في جيل الأربعينيات (١٩٤٠ وما بعدها).

٣- إنه عندما قرأ كتب لاهوتية لعلماء الكنائس الأرثوذكسية، راجع ما قرأه عند الآباء وأدرك أن الفجوة أكبر من قدرات شخص واحد على أن يملئها.

٤- قال إنه لا يظن أن الأنبا صموئيل والأنبا شنودة سوف يقبلان الانضمام إليه ... ثم قال: "بعدين هتعرف".

أثناء الصراع على كرسى مار مرقس حضر لزيارتي الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف (رقد في الرب) وكنت قد كتبتُ رسالةً مطوَّلة للأب متى المسكين تحتوي على عدة ملاحظات على كتاب "الإيمان بالمسيح"، وبعض عبارات في كتاب "الكنيسة الخالدة". وطلب الأنبا أثناسيوس نسخةً من الخطاب، ولم أكن أعرف أنه هو القوة المحركة التي كانت تعمل لإنجاح الأنبا صموئيل.

إذا تركنا الأحداث المحزنة التي نعرفها، أريد أن أسجل ما يلي:

"عندما تحول الأخ ثروت فؤاد إلى نشاط روحي "خمسيني" طلب مني الأب متي المسكين رئاسة تحرير مجلة مرقس، وعندما عرضت الأمر على الأنبا صموئيل قال لي: "بلاش ده هيخلي علاقتك بالأنبا شنودة تسوء"، ورفضت، ومع ذلك عندما أردت أن أطبع كتاب "القديس أثناسيوس في مواجهة التراث الديني غير الأرثوذكسي"، ولم يكن لديَّ المال، تبرع الأب متى المسكين بالورق...

كان مريضًا وأُجريت له عملية جراحية، وكان يسكن في شقة في الدور الأرضي في الـ٧ عمارات في مصر الجديدة. وكنت أُفكر في الهجرة، فذهبت لزيارته وامتد الحديث ٥ ساعات حول أمور كثيرة. كانت آلامه الروحية أكبر من آلام الجراحة. وقال لي: "إن الكنيسة القبطية سوف تدخل عصر أكاذيب، ستقال أحيانا باسم المسيح، وسوف يُحارَب الروح القدس بعنف، وسوف يدفع البسطاء ثمن هذه الحرب".

سوف أكتب ما دار بيننا في فرصة أخري، لكن كان لديَّ سؤال واحد: ما الحل؟

فقال لي بعد أن أمسك بكتاب "دراسة في الثقافة الوطنية، د. أنور عبد الملك" – "مقدمة في فقه اللغة العربية، د. لويس عوض"، وكنت قد قدمت له الكتابين معًا كهدية: "إن مصر تملك أدوات ومجالات الحوار ولديها التخصصات التي تستطيع أن تدفع عجلة التقدم، لا سيما تخصصات بعض أساتذة الجامعات المصرية." وأضاف "إن هذا غائبٌ تمامًا من حياة الكنيسة، بل سوف يغيب أكثر في السنوات القادمة لأن الأقلية تستولي على تطرف الأكثرية لكي تدافع به عن نفسها"

فقلت له: إنك توافق فرانز فانون "بؤساء الأرض".

فقال: درست هذا الكتاب منذ فترة، وهو كتاب جيد جدير بالقراءة.

فقلت: السؤال الأخير هو ما يهم هذه المرحلة بالذات، ما هو سر الصراع العنيف بينك وبين الأنبا شنودة؟

أعاد هذا إلى علاقه الراهب أنطونيوس السرياني به في دير السريان ودير الأنبا صموئيل ... موضوعٌ مؤجل... لكن توقَّف (الأب متى المسكين) عند أربع نقاط هامة هي:

١- الحسد والغيرة من الدراسات التي تُنشر.

٢- ما يُنشر هو جديد تمامًا على الأنبا شنودة. (وهذه كانت مشكلتي في محاضرة لوثر والعشاء الرباني).

٣- انعدام المرجعية في الكنيسة، إذ لا تجد مَن هو قادرٌ على أن يجمع الشمل ويناقش الفرقاء.

٤- الحوار ليس من مكونات الثقافة القبطية المعاصرة التي تحولت إلى كل ما هو ضد الحوار منذ الفتح العثماني.

كانت جلسة حزينة انحدرت فيها دموع الشيخ الوقور في هدوء...

سافرت إلى انجلترا، ولم نتقابل إلا في عام ١٩٨٨ في مكان إقامته على البحر في الإسكندرية ... وكان حديثًا مؤلمًا حزينًا لأن الانحدار إلى الهوة كان أسرع مما توقع، ولكنه قال: "إن الكنيسة هي كنيسة المسيح وهو المسئول الأول والأخير عنها".

طلبت منه أن ينشر مذكراته ورسائله، فقال إنه غير مستعد لذلك في الوقت الحاضر.

جاءت مقالات الكرازة التي صارت بعد ذلك كتب "اللاهوت المقارن" أنكارًا قاطعًا وصريحًا لكل ما هو مسيحي؛ الثالوث – التبني – الأسرار – الفداء – سُكنى الروح القدس ... الوقوع في الأريوسية ثم النسطورية ... بل اعتبار أن الشركة في الطبيعة الإلهية هي سقوط آدم والشيطان معًا، ثم أنها شِركٌ يحرمه الإسلام ...

يتبع

+ + +